الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ الدُّعَاءِ إلَى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّهُ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَٰلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَٰلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَٱتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «ٱنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ٱدْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

«يَدُوكُونَ»؛ أَيْ: يَخُوضُونَ.

قال الشارح وفقه الله:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالى: (**بابُ الدعاء**)؛ أي بابٌ يورد فيه أحاديث أو الأدلة على مشروعيةِ الدعوة إلى الله إلى تحقيق التوحيد، ولهذا قال: (بابُ الدُّعاء إلى شهادة) الدُّعاء بمعنى: الدَّعوة، وليس الدعاء بمعنى السؤال، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] ؛ أي: يدعو إليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ**) أي إلى الإتيان بها، والإتيان بشرائطها ومُقتضياتها فللا إله إلا الله معنىً وأركان وشرائط ومقتضيات لابد أن يأتي بها الإنسان ويُحققها وإلا لم يكن صح منه أنه جاء بلا إله إلا الله، فقد ذكر أهل العلم معنى: لا إله إلا الله، وأنها تعني لا معبود بحقٍ إلا الله أي لا يستحق أن يُعبد إلا الله، واستحقاقه ذلك لله أنه هو الخالق وهو الرازق وهو المالك وهو المُتصرِّف، فمن كانت هذه صفاته لزم الخضوع له، ولزم الائتمار بأمرِه والانتهاء عما انتهى عنه، هكذا ينبغي للمسلم، أو للإنسان بعامة، لأن الناس جميعًا هم خلق الله متحقق فيهم هذه الأمور: أن الله خلقهم، وأنه هو الذي يرزقهم، وأنه الذي بيده كل شؤونهم، وهو الذي يُدبر أمرهم، ويتصرَّف فيهم كيف شاء، ولذلك لزمهم أن يأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه.

أيضًا لا إله إلا الله لها ركنان: نفيٌ وإثبات.

(لا إله) هذا النفي.

(إلا الله) إثبات.

والنفي لابد أن يسبق الإثبات، ولا يصح العكس، لأن الله ﷻ قد ذكر في كتابه العزيز ذلك الأمر فقال في سورة البقرة عقب آية الكرسي قال: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، فبين الله ﷻ وجوب النفي قبل الإثبات، وهذا ما يُسميه العلماء بالتخلية قبل التحلية، وقالوا: أن من كان عنده وعاءٌ شرب فيه لبنًا وأراد أن يشرب به عسلًا لزم أن يُنظفه من رواسب اللبن ويُنظفه ويُهيئه، يُخليه بمعنى يجعله خاليًا تمامًا، ثم يضيف العسل إليه، فبذلك تصح منه لا إله إلا الله، وهي أيضًا لها شرائط بعضهم قال أنها ثمانية، وبعضهم قال: سبعة، أن أحدها ليس خارجًا عنها وهو داخلٌ في معناه في معنى لا إله إلا الله.

وكثيرٌ من أهل العلم نظموا في شرائط لا إله إلا الله نظمًا كثيرًا:

منها قول بعضهم:

باسم القوي أبتدي كلامي	في نظم شرط أفضل الكلام
وهي شروطٌ عدُّها ثماني	مثبتةٌ في محكم القرآني
وفي صحيح سنة العدنانِ	صلى الله عليه الرَّب كل آني
أولها العلم كما في الزُّخرف	وفي الصحيح جاء دليلٌ فاعرفِ
عن سيدٍ يُدعى بذي النورين	رواها مسلم أبو الحسينِ
وثاني الشروط في الآدابِ	وهو اليقين دون ما ارتيابِ
وعن أبي هريرة في الصحيح	لمسلم بلفظه الصريحِ
والثالث الإخلاص فادرِ	دليله لدى النساء يدري
وعن أبي هريرة في البخاري	مَن أسعدُ الناس لدى الغفار

قوله: (كما في الزُّخرف) يعني كما في سورة الزخرف.

وقوله: (بذي النورين) يعني عثمان.

وقوله: (لدى النساء) يعني سورة النساء، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]

وقوله: (**مَن أسعدُ الناس لدى الغفار**) كما في حديث أبي هريرة: «من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه».

ورابعٌ صدقٌ لدى العَّواني	دليله صححه الشيخانِ
عن عالمٍ أرسله الرَّسولُ	وهو معاذ علمُه منقولُ
وشرطٌ خامسٌ هو القبولُ	دليلُه في نظمِه أقول
في سورة السَّجدةِ واليقطينِ	كذا الحديث صح باليقينِ
عن ابن قيس ماهر القرآن	بسندٍ عنه روى الشيخانِ

قوله: (**عن ابن قيس ماهر القرآن**) وهو أبو موسى الأشعري، الذي قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد

أوتيت مزمًا من مزامير آل داود».

وسادس الشروط الانقيادُ ... ومِن لقمانَ علمُهُ يُفادُ

قوله: (ومِن لقمانَ) يعني من سورة لقمان.

ومن حديثٍ أخرج الشيخانِ ... عن ولد الفاروق يرويانِ

يعني عبد الله بن عمر.

وسابع الشروط في العقودِ ... محبةٌ لربنا الودودِ

العقود يعني سورة الأنعام.

وفي حديث أنس الأنصاري ... في مسلم وشيخه البخاري
وآخر الشروط في العَواني ... كفرٌ بكل ندٍ للديانِ
وفي حديث طارق بن أشيمَ ... عن سيد الأنام عن مسلمِ
فقد تمت الشروط يا إخواني ... من سنة الرسول والقرآنِ
نظمها عبدٌ فقير يسأل ربًا ... كريمًا ورحيمًا يعدلُ

إلى آخر الأبيات.

نسأل الله أن يجزي ناظمها خيرًا.

فهذه حاوية، وأيضًا الحافظ الحكمي له نظمٌ عليها فقال في بيتٍ واحد:

وبشروطٍ سبعة قد قُيدت ... وفي نصوص الوحي حقًا وردتْ
فإن لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبولُ ... والانقياد فادرِ ما أقولُ
والصِّدق والإخلاص والمحبَّة ... وفقك الله لما أحبَّه

وقال ابن سحمان:

علمٌ يقينٌ وإخلاص وصدقك مع ... محبةٍ وانقياد والقَبول لها
وزيد ثامنها الكُفران منك بما ... سوى الإله من الأوثان قد أله

الحاصل: أن لا إله إلا الله هذه شرائطها.

مقتضياتها: أنك تعمل على أساس التقوى، كما قال بعض السَّلَف في تعريف التقوى: «هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وتخشى عقابه»، فحقيقة لا إله إلا الله هي موجزةٌ في آية واحدة في قول ربنا ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، فلابد من اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما يُتقرب به إلى الله من الاعتقاد ومن العمل، هكذا يكون تحقيق لا إله إلا الله ولا فصل بين ذلك وبين قول: لا إله إلا الله، فإن قول: لا إله إلا الله وحده دون الاعتقاد والعمل لا ينفع، لابد من الاعتقاد والعمل، تذكرت كلام طلق بن حبيب الذي قال: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله». هذا هو معنى: لا إله إلا الله، من حقق هذا فقد حقق لا إله إلا الله.

ثم قال: (﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾) التي أُمرت أن أسلكها، وهكذا كل من اتبعني لذلك قال: (﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِ﴾) هذه وظيفة الرسل ووظيفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُرسل ليُقاتل الناس، وإنما أُرسل ليدعو الناس، فمن أبى قاتله من أجل الدعوة لا من أجل القِتال والسلطة والتسلط وإظهار الجبروت لا، بل كانت حروبه من أجل الدعوة لا غير، وكان يُرسل إلى من يريد غزوهم قبل أن يغزوهم: «أسلموا تسلموا»، وقد راسل كل ملوك الدنيا في ذلك الزمن، وكان مما يكتب إليهم به: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين**»، ويقول لهم ويُطمئنهم أنهم باقون على ملكهم، فلم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلَّاب مُلك ولا رئاسة ولا حُكمٍ، وإنما كان يدعو إلى الله كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي على علم، لا ينفع أن يدعو الإنسان بلا علم، كما يفعل جماعة التبليغ، جماعة الإخوان المسلمين خالفوا صدر هذه الآية، لأن الله ﷻ قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا﴾ الإخوان المسلمين لا يدعون يُريدون يحكمون، وجماعة التبليغ خالفوا الشطر الثاني من الآية، وهي قوله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ فقاموا يدعون حتى سموا أنفسهم جماعة الدَّعوة لكن على غير بصيرة، فكلا الجماعتين خالفا هذه الآية، الإخوان المسلمين خالفوها فلم يدعو، وهمهم الحُكم والتسلط، وجماعة التبليغ دعوا، لكن

بلا علم، والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

إذًا هذه هي مناسبة إيراد المصنف للآية في هذا الباب، لأن فيها التصريح بأن مهمة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هي الدعوة إلى الله يعني إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وما يُبين ذلك قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في آخر الآية: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

إذًا هي دعوةٌ إلى التوحيد والإخلاص بعلمٍ، لابد من العلم، وإلا أفسد الإنسان من حيث يُريد الإصلاح.

ثم أورد حديث ابن عباس المُخرج في «الصحيحين» أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إلى اليمن، أهل اليمن لما سمعوا بدعوة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اليمن لم يدخلها الإسلام حربًا، وإنما دخلها طواعيةً، لما سمع أهل اليمن بمبعث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ودعوته أرسلوا وفدًا إليه أن ابعث إلينا من يُعلمنا الإسلام، فانتخب لهم واحدًا من أعلم الصحابة، وكان شابًا يافعًا وهو معاذ بن جبل، ولم يصنع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما يصنع جماعة التبليغ اليوم الذين يحتجون بهذا الحديث للخروج، لم يصنع مثلهم، لم يُرسل معه عوام المسلمين والمسلمين الجُدد ليذهبوا مع معاذ، وإنما أرسله وحده مع الوفد.

وأيضًا بين المنهج في الدعوة رسمَ له المنهج القويم في الدعوة إلى الله فقال له: («**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**») لأن اليمن عامتها كانت نصارى، وكان فيهم قلة يهود، ويوجد قلة قليلة جدًا وثنيين، لكنْ عامة أهل اليمن كانوا نصارى، فهُم أهل كتاب، ولهذا قال: («**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**») لا تبدأ، الآن يبدؤون بالدعوة إلى الأخلاق وفضائل الأعمال لا، الواجب أن يَبدأ الداعي دعوته بالتوحيد، لأن هذا هو الأمر الذي خُلق له، الناس يظنون أن الناس خُلقوا لأجل تحسين أخلاقهم، وتعايشهم ومعاملاتهم، ويستدلون بقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات:١٣]، لكن لا تنس آخر الآية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[الحجرات:١٣]، كيف تكون التقوى بلا توحيد؟ فلابد من تحقيق التوحيد.

والتوحيد هو الذي يقوم عليه الولاء والبراء، وهكذا بين الله ﷻ لأهل الإيمان هذا المنهج القويم أن الله ﷻ قال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦]، فأظهر إبراهيم البراءة، وكذلك أظهر لهم العداوة أيضًا في آية أخرى في الممتحنة قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة:٤] إلى آخره.

فالله ﷻ بين لنا المنهج الذي نسير عليه في الدعوة إلى الله، فندعو الناس أولًا إلى التوحيد حتى يُحققوه، لذلك اليوم في معظم البُلدان التي ينتشر فيها الإخوان المسلمون وما شاكلهم كالجماعة الإسلامية في الهند، وجماعة التبليغ ترى القبور بكثرة ولا أحد يُغير ولا يُنكر، لأن الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية دعوتهم قائمة على التسلط والسلطة ولا هم لهم بتحقيق التوحيد، وجماعة التبليغ دعوتهم قائمة على الدعوة إلى اللين وحُسن الخلق ولا هم لهم بالتوحيد. سبحان الله! السلطة حظ نفس يريدونها لأنفسهم ليحصلوا على القوة والمكانة والوجاهة والمال، والرفق من حقوق العباد فيما بينهم، فيُريدون حقوق أنفسهم وحقوق العباد فيما بينهم، ولا يُريدون تحقيق حق الله ﷻ الذي خلقهم والذي يكلؤهم بالليل والنهار، ولذلك دعواتهم فاشلة، بينما من قام يدعو للتوحيد تجد أن دعوته منصورة كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٥١].

ثم قال: («إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»).

هم جاءوا إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يريدون الإسلام، هم ما دخلوا بالسيف هم جاءوا من اليمن إلى المدينة معناه: أنك تُعلمهم حقيقة شهادة لا إله إلا الله ليس فقط مُجرد التلفظ بها علِّمهم، ولذلك قال في رواية: («إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ») حتى يتحقق منهم ذلك، وهذا سيستغرق وقتًا طويلًا حتى يفهموا ويعملوا بهذا التوحيد، فلذلك قال: «فإن هم أطاعوك» في رواية: «فإنْ هم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض

عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة»، وهذه الصلوات شأنُها أنها تعضُد التوحيد إذا وُجد؛ لأنها تربط العبد بربه ويُكرر فيها توحيد الله من الأذان إلى التسليم كلها توحيد.

قال: («فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ») هذه الزَّكاة الواجبة.

وقوله: («مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ») ذكر أهل العلم فيها كلامًا كثيرًا: بعضهم قال: يؤخذ منها عدم جواز نقل زكاة الأموال من بلدٍ إلى بلد، ودليلهم قالوا: «من أغنيائهم، فتُرد على فقرائهم» والضمير عائدٌ إلى أهل اليمن، لكنْ عامة أهل العلم قالوا: إن الجملة ليست دالة على عدم جواز نقل الزكاة، لأن الضمير هنا ضمير الجمع، والمقصود بضمير الجمع المسلمين عامة: «من أغنيائهم» أي من أغنياء المسلمين، «وتُرد على فقرائهم» أي على فقراء المسلمين؛ لأنهم دخلوا في الإسلام فصاروا من جملة المسلمين، ويدل على ذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل عليًا إلى اليمن هو وأبو موسى الأشعري في حجة الوداع قبل أن يذهب للحج حتى يأتوا بإبل الصدقة الإبل التي تُجمع من الزكاة، فجاء بها علي إلى مكة فنحرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، فهي أُخذت من أهل اليمن وذُبحت في مكة، فهذا ذكر أهل العلم أنه دالٌ على جواز نقل الزكاة من بلدٍ إلى بلد إذا وقعت الحاجة في ذلك البلد الآخر أكثر من الحاجة في البلد الذي أُخذت منه الزكاة.

ثم قال: («فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَٰلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ») يعني النفائس من أموالهم لا تتخير أفضل ما عندهم فتأخذه فتوقع في قلوبهم حُرقة على ذلك.

وأيضًا لا تقبل منهم أسوأ ما يبذلون، كما قال الله ﷻ في آيات البقرة: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢٦٧] لا تيمموا الخبيث تقصدوا أسوأ ما عندكم فتخرجوه لا، وإنما تُخرجوا من الوسط، لا تأخذ أنفس ما عندهم فتحرق قلوبهم، ولا تأخذ أردأ ما عندهم فتحرق قلب الفقير الذي سيُعطى هذا الشيء الرديء، وإنما تأخذ وسطًا.

قال: («وَٱتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ») لا تظلم الغني فتأخذ أنفس ما عندهم، ولا تأخذ الرديء فتعطيه للفقير

فتظلم الفقير، إذا أخذت النفيس ظلمت الغني، وإذا أخذت الرديء ظلمت الفقير، («فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ») وهو أمرٌ عام في كل مظلوم، قد جاء في الحديث أن دعوة المظلوم تُستجاب ولو كان المظلوم كافرًا، ولو كان الظالم مؤمنًا، لأن الله ﷻ حرم الظلم، كما قال في الحديث القدسي: «إنِّي حرمت الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا»، والله ﷻ يُخبر عن نفسه في كتابه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]. فالله ﷻ لا يُحب الظلم أبدًا، ولذلك بين دعوة المظلوم وبين الله حجابٌ يحجبها، بل حجاب مباشرة، ولو كان المظلوم كافرًا.

ثم أورد حديث (سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه) وهو أنصاريٌّ خزرجي صحابيٌّ شهير رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ) أي يوم حصار خيبر، وذلك وقع في سنة سبعة، وهو الوقت الذي أتى أبو هريرة رضي الله عنه المدينة مسلمًا أسلم عام خيبر، قال: («لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا») يعني أنه صلى الله عليه وسلم سيُرسل بعثًا هم عسكروا قبل خيبر، وأرسل بعثًا يعني كتيبة لم يُرسل كل الجيش، وأراد أن يجعل على هذا الجيش رجلًا يُمكن له الله ﷻ، لذلك قال: («لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا») ما قال: رجلًا قويًا، ولا رجلًا خبيرًا بالحرب، وإنما قال: («لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ») هذا فيه بيان إذا راد قوم النصر لزم أن يبحثوا عن أتقاهم وأورعهم بالله، فيُسلموه قياد أنفسهم وزمام أنفسهم، لكنه يكون عالمًا ورعًا تقيًا يظهر عليه الخوف من الله بقوله وفتاواه وعلمه وعمله، لا أن يكون عالمًا فقط لا، لأن بعض الذين عندهم علمٌ يظلون ويُظلون يصدرون فتاوى كما حصل الآن في بلاد المسلمين كلها بفتاوى أُناس عندهم علم، لكن ليس عندهم الورع والتقوى من سفك الدماء، فجلسوا هم في بروج عاجية، وأرسلوا أولاد المسلمين يُذبحون على عتبات الحُكام، وهذا لاشك أنه بسبب تفريط الأمة في معرفة من يقودهم ومن يمشون وراءه، فلابد أن يكون العلماء الربانيين هم من يقودون الأمة سواءً في مجالس العلم أو في ميادين القتال، فإن العلماء هم الذين يفتح الله لهم وعلى أيديهم، كما قال: («يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ») يعني يتكلمون من يكون من

يكون، فأخذوا يُكثرون في الخوض، فكل واحدٍ يظن ظنًا فلان سيعطاها فلان سيُعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لماذا غدوا؟ كلهم يرجو أن يُعطاها أن يكون ذلك الرجل الذي، لماذا؟ هل لأنهم هم أصلًا خرجوا للقتال، هل لأنهم يخشون ألا يقاتلوا؟ لا لا، لكنْ للوصف الذي ذكر: «رجلًا يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله»، هذا ما أراد، لأنه لو أعطى أي أحد سيكون ذلك الأحد هو من شهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأن الله يُحبه والرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُحبه، وأنه هو يُحب الله ورسوله، إذًا حبه لله ورسوله دليل إخلاص، وحب الله له دليل رضا، فلذلك ما نام جعلوا طيلة ليلهم يتحدثون مَن يكون، كلهم يرجو أن يكون ذلك فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لما رآهم جاءوا في الصباح وليس معهم علي، قال: («أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟») فلما قال ذلك كأنهم فرحوا؛ لأنهم علموا أن المُراد علي، لكنَّه علموا أمرًا لم يعلمه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو أن علي مريض، فإذًا لن يخرج للقتال، فقال: (هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ) طبعًا الذي يشتكي عينيه لا يصلح للقتال، كيف سيرى، ولذلك عذر الله من القتال الأعمى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ يعني في ترك القتال، لأنه لن يرى، فلما قالوا له ذلك قال: (فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ) ولفظ (أُتي به) يدل على أنه كان قد أرمد رمدًا شديدًا جدًا لا يرى معه طريقه، فاحتاج إلى من يقوده، قال: (فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ) بُصاق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعرقه ودمه وشعره كله بركة، قد ثبت أنه في حجة الوداع لما حلق الحلاق رأسه أخذ الشعر ووزعه على الصحابة ليتبركوا به بركة، وأنه مرَّةً نام القيلولة عند أم سليم، فاستيقظ على حركتها وهي تجمع عرقه، فقال: «ما هذا يا أم سليم؟» قالت: أُطيب طيبي بعرق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فكانت تجمع العرق من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وتضعه في قارورة طيبها حتى يزيده طيبًا.

وقد ذكر أيضًا أبو سفيان لما رأى الصحابة قال: «وما رأيتُ أحدًا أشدَّ تعلُّقًا من أصحاب محمدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمحمد، فإنه ما بصق بُصاقةً ولا تنخم نخامةً إلا تلقفوها»؛ لأنها بركة.

ولما احتجم أعطى عبد الله بن الزبير الدم وقال له: ألق حيث لا يراه الناس، يعني لا يؤذي الناس لا

يطؤونه فيؤذهم، فخرج ودخل سريعًا، فقال: «ما صنعت بالدم؟» قال: ألقيته حيثُ لا يراه أحد، فعلم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه شربه، فقال: «مسعر حرب» يعني فيك قوَّة وشدَّة، فإذا دخلت حربًا تُسعرها أي تشعلها، إلا بوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وخلأه ما ورد أن من الصحابة أخذه، لأن هذا وإن كان من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، لكنَّه هو من الأمور المستقذرة فلم يكن الصحابة يفعلون ذلك، وهذا دليل الرد على الصوفية الغُلاة الذين تجاوزوا الحدود في هذا حتى قال بعضهم بيتًا:

نعلًا برجل علي، وبعضهم قال كذا، ولو كان ذلك حق لكان أخذ بول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أولى من هذا، أولى من أن يكون الإنسان نعلًا في علي أو غيرِهِ.

الحاصل أنه بصق في عينيه ودعا له، (فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ) هل برؤه كان فقط من البُصاق أم من اجتماع البصاق مع الدعاء؟

أولًا: بُصاقه بركة، وهو يقوم مَقام الدواء، واجتماع بصاقه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع الدعاء دليلٌ على أن الإنسان ينبغي إذا كان مريضًا ووصف له الدواء أن يلزم الدعاء لأن الدواء بذاته لا ينفع إلا أن يُنزل الله ﷻ فيه النفع، فهذا دليلٌ على أن من أراد الشفاء من أي داء عمل بالأسباب القائمة على أمرين:

أسباب حسية.

وأسباب معنوية.

الأسباب الحسية: أخذ دواء موصوف له من قِبل الخبير، وملازمة الدُّعاء.

قال: (فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ)، ثم يأتي شاهدنا قال: («انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ») انطلق على مهلك لا تستعجل، لماذا؟ لأنه وهو في طريقه إذا كان يسير بتؤدة وبطء فإن القُرى التي يمرُّ بها سترى وتسمع، فتُرسل إلى من وراءها من القرى أن يتحصنوا، والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما أراد أن يبدأ بالقتال، ولذلك قال له: «انفُذ» يعني امض، لكن على رسلك لا تستعجل، لا تُسرع حتى تصل إليهم سريعًا لا، دعهم يأخذوا فرصة ليسمعوا من القرى التي قبلهم أن جيشًا يسير في هذا الاتجاه، فلعلهم

يتحصنوا، قال: «انفذ على رسلك حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ») يعني فرصة أخرى لو وصلت إلى أرضهم حيث سكناهم لا تهاجمهم، بل انزل في الساحة التي تكون مقابل قبالة البيوت، يعني عسكر هناك ضع جيشًا حتى يروه فيخافون، لعلهم إذا سمعوا من القرى السابقة يخافون، لعلهم إذا جئتهم يخافون، فيقبلون العرض وهو أن يُسلموا، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن قصده القتل، وإنما قصده الدعوة إلى الله.

ثم قال: («ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ») انظروا إلى قوله: «ثُمَّ» ولم يقل: حتى تنزل بساحتهم وادعهم، لا، قال: «ثُم» تُفيد التعقيب مع التراخي يعني اعط وقتًا انزل بالساحة واصبر هناك بالساحة لا تبدأ، اصبر اعطِ وقتًا وادعهم لعلهم يعني يقبلون، إذا رأوك لم تُهاجم وأنت جيش مُدجج بالسلاح قادر على غزوهم ودحرهم، ثم لم تفعل، لعلهم يُحبون الإسلام ويقبلونه.

قال: («وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ») هذا دليل واضح إلى أن هم الداعية هو حق الله، حق الله لا حق الناس، حق الله أولًا، لأن حق الله هو السبب في الخلق وهو المُنجي من الخلود في النار.

ثم قال: («فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ») النَّعم بالفتح هي الإبل، والنِّعم جمع نعمة، النعم اسم جنس ليس منه مفرد مثل الإنسان مثل الحصان، مثل النساء، اسم جنسٍ ليس منه مُفرد، فالنَّعم هي الإبل النفيسة الغالية ولهذا سماها حُمر إبل حمراء اللون، وهذه قليلة جدًا، لأن الإبل يوجد منها الأبيض ويوجد منها الأسود، ويوجد منها ما يُعرف باللون الوبري أو اللون البني، لكن الأحمر نادر جدًا، كما أن الصفراء في البقر نادرة جدًا، لذلك وصفها الله عَزَّ وَجَلَّ لما شدد اليهود فشدد الله عليهم.

إذًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عليًا وهو قائد جيشٍ خرج ليغزو قومًا خانوا وغدروا، لكن مع ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له: «ابدأ بالدعوة إلى الله»، ومن هنا نعلم ضلال وزيغ هؤلاء المزعومين الآن الذين يقولون: أنهم مجاهدون كالقاعدة وداعش والنصرة الذين يأخذون رجلًا مسلمًا من الجيش الذي

يقاتلونه، ثم يذبحونه ويقتلونه، سبحان الله، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا لاشك أنه مخالفٌ لما جاء به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما أرسل علي إلى يهود، وليس أي يهود، يهود عقدوا عهدًا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم غدروا، وتعاونوا مع المشركين ضد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومع ذلك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول له يُرغب عليًا: «ادعهم»، لأن دخول الناس في الإسلام أحب إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من دخولهم في النار، ولو كانوا كُفارًا، الله ﷻ ترفق مع فرعون، ولذلك قال لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:٤٤] تلينوا ترفَّقوا معه. ثم قال: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤].

فلذلك يجب علينا أن نبذل وسعنا لتعلم التوحيد، وتعليمه، وعند تعليمه يجب أن نترفق بعض الشباب يهديه الله ﷻ للتوحيد وهو من أُسرةٍ قد تكون قبورية نشأت في مجتمعٍ قبوري، وهم عوام لا يعرفون، فيأتي مُباشرة ويُكفر والده ويُكفر أعمامه ويكفر أخواله، ويشتد عليهم بغلظة، ويقول: ما يقبلون الدعوة، وأقمت عليهم الحجة، هذا غلط، انظر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كيف يعامل يهودًا عندهم الكتاب وعرفوا وعلموا، وأيضًا عاهدوا وغدروا، ومع ذلك يترفق.

فعلينا أن نعمل بهذا حتى يهدي الله ﷻ من شاء على أيدينا فيكون خيرًا لنا من حُمر النَّعم.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(